موشحات مطوبات

لابن سناء الملك

الدكتور رضا محسن القريشي
جامعة بغداد - كلية الآداب

حياة ابن سناء الملك :

هو القاضي السعيد ابو القاسم هبة الله بن القاضي الرشيد ابي الفضل جعفر بن المعتمد سناء الملك ابي عبدالله محمد بن هبةالله محمد السعدي[١] ، الملقب بالقاضي السعيد والمعروف بابن سناء الملك[٢] . ولد في أحياء القاهرة ، ذكره العماد الكاتب في الخريدة قال : « كنت عند القاضي الفاضل في خيمة بسرج الدلهية في دمشق في الثامن عشر من ذي الحجة سنة ٥٧٠هـ فاطلعني على قصيدة له كتبها اليه من مصر وذكر أن سنه لم تبلغ العشرين ، فاعجب بنظمه ومطلع قصيدته :

فـــراق قضى للهـم والقلب بالجمـع
وهجر" تولى صلح عيني مع الدمـع[٣]

وبذلك تكون ولادته على وجه التقدير سنة ٥٥٠هـ ، وهو من اسرة غنية ، تقلد منصب القضاء كأبيه ، وكان ملازما للقاضي الفاضل[٤] وقد هيأ له الفرصة للاتصال بالملوك الايوبيين فمدح صلاح الدين والعزيز والافضل وأخاه الملك العادل ، وهو احد فضلاء مصر ورؤسائها ونبلائها ، توفى في القاهرة رابع شهر رمضان سنة ٦٠٨[٥] .

ترعرع ابن سناء الملك في رعاية أبيه فأهتم بتدريسه علوم القرآن والحديث واللغة والنحو وحفّظه القرآن الكريم على الشريف الخطيب[٦] ، ودرس اللغة والنحو في حلقات ابن بري المتوفى سنة ٥٨٢هـ ثم سافر الى الاسكندرية ليأخذ الحديث عن المحدث الحافظ ابي طاهر السلفي[٧] وقرض الشعر ولما يبلغ العشرين من العمر وصار من شعراء مصر في العصر الايوبي ، وكان للقاضي الفاضل اثر في حياته الادبية ، فقد اقتدى به ونهج على طريقه في « حرصه على الجناس اللفظي والمقابلة بين المعاني والاعتماد على العقل في توليد الافكار ، وتمثل التراث الشعري القديم من ناحية التشبيهات والاستعارات ومحاولة الزيادة فيه .... اما ما شغف به ابن سناء الملك في ديوانه من حسن التعليل ومن ايراد ما يشبه القضايا المنطقية والحجج العقلية فقد ظل قائما في الموشحة ولكنه لم يتوسع فيه توسعه في الشعر لان جهده في تلمس القوافي الكثيرة قد شغله واستنفد بعض نشاطه في الجهد العقلي، ولذلك كان تجديده في المعاني ، وابتكاره فيها اوضح في شعره منه في موشحاته »[٨] .

وهو اول وشاح مصري بل مشرقي عنى بالموشحات حين وفدت من الاندلس فألف كتابا خصه بها ، وأرسى قواعدها فيه ووسمه بـ « دار الطراز في عمل الموشحات » وله ديوان شعر ، وكان ملما ببعض اللغات الاجنبية التي كانت منتشره آنذاك كالفارسية والتركية ، واستخدم هاتين اللغتين في خرجات موشحاته كما سيرد ذكرها .

ابن سناء الملك والموشحات :

وصلت الموشحات الاندلسية الى الديار المصرية كما وصلت اليها الذخائر العلمية والادبية عن طريق الادباء والشعراء والوشاحين الذين كانوا يشدون الرحال لزيارة قبر الرسول (ص) واداء فريضة الحج ، ثم يطوفون بعض البلاد الاسلامية لينهلوا العلم من اساطينه في المشـرق ، فمنهم من يبقى بعد ان يطيب له المقام ، ومنهم من يقفل راجعا الى بلاده . أما من هو الذي عرّف المشارقة بفن التوشيح فهذا أمر ما زال غـير معروف الا ان الدكتور شوقي ضيف يعتقـد بان « اليسع بن عيسى اليسع » المتوفى سنة ٥٧٥هـ ، كان قد وفد الى مصر في عهد صلاح الدين الايوبي سنة ٥٦٠هـ وألف كتابا اسمه « المغـرب في أخبار محاسن المغرب » . ويؤكد الدكتور ضيف ان ابن سناء الملك أفاد منه معرفته بالموشحات[٩] .

ويذكر محمد ابراهيم نصر قائلا « وجاء فيما كتبه الصفدي عن ابن سناء الملك انه حضر اجتماعات الشيخ ابي المحاسن البهنسي اللغوي ابي الوزير البهنسي الذي أصبح وزيرا للأشرف بن العادل ، وكان ابن سناء ذكيا وذا عقل ناضج يفهم ما يقال بسرعة ، وفي هذه الاجتماعات أتصل برجل مغربي تعود ان يشغل نفسه بتأليف الموشحات المغربيـة بالاضافة الى الازجال فاتصل به ابن سناء الملك وناقشه في الموشحات حتى أصبح فيها خبيرا »[١٠] في حين نرى ان ابن سناء الملك ينفي عن نفسـه هذه الاقاويل ويرد عليهم بنفسه في كتابه دار الطراز بانه لم يأخـذ عن احد صناعه الموشحات ولا وجد شيخا من الاندلس درس عليه هـذا

العلم ، ولا مصنفا تعلم منه هذا الفن بقوله « واعذر اخاك فانه لم يولد بالاندلس ولا نشأ بالمغرب ولا سكن أشبيلية ولا ارسى على مرسية ولا عبر مكناسه، ولاسمع الارغن ولالحق دولة المعتمد[١١] وابن صمادح[١٢] ولا لقى الاعمى[١٣] وابن بقي[١٤] ولا عبادة[١٥] ولا الحصري[١٦]، ولا وجد شيخا اخذ عنه هذا العلم ولا مصنفا تعلم منه هذا الفن »[١٧] .

ان ابن سناء الملك لا يُشك في دعواه لانه كان مولعا في تلقف الموشحات الاندلسية عندما تصل اليه فيحفظها ويدرسها ويستنبط منها القواعد ، بهذه الطريقة استطاع ان يرسم قواعد ثابتة وصحيحة للموشحات مهد بموجبها طريقا سويا للوشاحين الذين أعقبوه ، فكان واسطة العقد بلا منازع . وهو القائل « وكنت في طليعة العمر وفي رعيل السن قد همت بها عشقا وشغفت بها حبا ، وصاحبتها سماعا وعاشرتها حفظا وأحطت بها علما ، واستخرجت خباياها ، واستطلعت خفاياها وقلبت ظهورها وبطونها، وعانقت أبكارها وعونها، وغصت على جواهرها المكنونة ... ولبثت من عمري سنين الى ان عرفت معرفتها تزكية للعقل وتعديلا للفهم ، وجهلها تجريحا للطبع »[١٨] وعلى الرغم من هذا كله وتعلق صاحبنا بهذا الفن ونظمه العديد من الموشحات في اغراض مختلفة ومعارضته لاكبر الوشاحين الاندلسيين وتصنيفه كتاب « دار الطراز » الذي يعد الاول من نوعه في فن التوشيح في المغرب والمشرق على حد سواء ، فقد حفظ لنا في كتابه هذا تراثا عربيا مجيدا أرسى به قواعد الموشحات ، وقطع طريق الاجتهاد الذي قد يضيع الحقائق أحيانا. نلمح من هذا كله أخلاق العلماء الفضلاء تتجلى لدى ابن سناء الملك ،

وتواضعا يرفع من شأنه حين يضـــع الوشاحين الاندلسيين في القمة ، ويعترف لهم بقصب السبق في هذا المضمار ، ويجعل موشحاته على كمالها من تلك الموشحات في الوَرَق من الفـــرق متعلقة بأذيالها حين يقول « وكيف ما كان فموشحاتي تكون لتلك الموشحات كظلها وخيالهاواشهد انها ناقصة عن قدر كمالها ، وها انت تراها في الوَرَق من الفرق متعلقة باديالها »[١٩] وهكذا ولع في صناعة الموشحات وتفنن في نظمها وسـار على هدى الوشاحين الاندلسيين الاُول حتى قال فيـه الصفدي « ومن الديار المصرية القاضي السعيد ابن سناء الملك وهو حامل راية هـذه الصناعة والناس عليه عيال »[٢٠] بهذه القدرة العالية وبهذا الحس الادبي الرائع استطاع ان يعارض شيخ الوشاحين في الاندلس وهو عبادة بن ماء السماء الذي قال فيه ابن بسام « كان في ذلك شيخ الصناعة واحكم الجماعة ، سلك الى الشعر مسلكا سهلا فقالت غرائبه مرحبـا واهلا » واردف قائلا « وكانت صنعة التوشيح التي نهج اهل الاندلس طريقها ووضعوا حقيقتها غير مرقومة البرود ، ولا منظومة العقود فاقام عبادة هذا عمادها ، وقوّم ميلها وسنادها ، فكأنها لم تسمع بالاندلس الامنه ، ولا اخذت الا عنه ، واشتهر بها اشتهارا غلب على ذاته ، وذهب بكثير من حسناته »[٢١] وكان ابن سناء الملك قد عارض موشحته التي تعـــد في طليعة الموشحات الاندلسية التي وصلت الينا مكتوبة بعد اختراع فن التوشيح في الاندلس ، ثم أستعار مطلعها وجعله خرجة لموشحته ، ثـم جاءت بعده سلسلة من الوشاحين ترسموا خطاه ونهجوا على منواله ، وعارضوا موشحته ، وسنعرض موشحاتهم حسب التسلسل الزمني لكل منهم . اما موشحة عبادة بن ماء السماء فهي :

من ولي في أمة أمرا ولم يعدل
يعزل إلا لحاظَ الرشأ الأكحل

• • •

جُرْتَ في حكمك في قتلي يا مسرفْ
فانصف فواجب ان ينصف المنصفْ
وارأفِ فأن هذا الشوق لا يرأفْ
علّل قلبي بذاك البارد السلسل
بتجلي ما بفؤادي من جوى مُشعل[٣٣] .

وقال ابن سناء الملك يعارضه بعد ان استعار مطلع موشحته خرجة لموشحته :

كلّلي ياسحبُ تيجان الربا بالحُلي
واجعلي سوارها المنعطف الجدول

• • •

ياسما فيك وفي الارض نجوم وما
كلما أخفيتِ نجما أظهرت أنجما
وهي ما تهطِلُ الا بالطلى والدُمى
فاهطلي على قطوف الكرم كي تمتلي
وانقلي للدن طعم الشهد والقرنفل

• • •

اما خرجة هذه الموشحة فهي :

من ظلم في دولة الحسن اذا ما حكمْ

فالألم يجول في باطنه والندم
والقلم يكتب فيه عن لسان الأمم
من ولي في دولة الحسن ولم يعدل
يعزل الالحاظ الرشأ الاكحل[٣٣]

• • •

وجاء احمد حسن الموصلي[٣٤] الذي نعته ابن تغـــرى بردى بـ « صاحب الموشحات » فقال يعارض « كللي »[٣٥] •

جلى يارلح كاسي ولها كللي
بالحلي سوارها ثم لها خلخلي

• • •

من غرو حبابك المنظوم مثل الدر
بالخمر كأنه الياقوت فوق الجمر
والزهر في الروض امثال النجوم الزهر
فانقلي من دنك المختوم بالمندل
وارسلي طيب الندامع نسمة الشمأل[٣٦] •

ومن التأريخ الأدبي المضلّل ان بعض الموشـحات ذائعة الصيت تنسب الى ابن سناء الملك خطأ والى غيره أيضا وهي تعود لوشاح آخر ومن ذلك ما يذكره الصفدي من نسبة هذه الموشـحة لابن سناء الملك وهي لاحمد ابن حسن الموصلي قال :

جامح في الدلال جانح للهجر
خاطر في الجمال عاطر في النشر

• • •

غصن بان رطيب قد زها بالطرب
ينثني في كثيب بالصبا عن كثب
ما لقلبي نصيب منه غير النصب
قمر في كمال فوق غصن نضر
طالعا لايزال في دياجي الشعر[٢٧]

قال الصفدي «نُسبت هذه الموشحة الى القاضي السعيد ابي القاسم هبة الله ابن القاضي الرشيد ابى الفضل جعفر المعتمد بن سناء الملك ، والاصح انها لاحمد بن حسن الموصلي ... وعارضها وشاحون كثيرون، فمنهم من خالف قوافيها ومنهم من لم يخالف »[٢٨] .

وبعد مائة عام تقريبا يأتي الشهاب العزازي[٢٩] ليعارض موشحة عبادة بموشحتين اثنتين احداهما يذكرها الصفدي في توشيع التوشيح بقوله ومن ذلك قول الاديب الوشاح شهاب الدين احمد بن عبدالملك العزازي »[٣٠] .

ماعلى من هائم وجدا بذاتِ الحُلى
مُبتلى بالحدقِ السودِ وبيض الطلى

. . .

باللوى مليكُ حسنٍ لديوني لَوَى
كم نوى قتلي وكم عذبني بالنوى
قد هوى في حبه قلبي بحكم الهوى
وأصطلى نارَ تجنيه ونار القلى
كيف لا يذوق من هام بريم الفلا

ونظم الصفدي معارضا العزازي بقوله :

لي الى ظبي الحمى شوقٌ وقد انحلا

ان حلا فانه جرّعني الحنظلا[٣١] .

اما الموشحة الثانية التي عارضها العزازي فما زالت مخطوطة وهي:

ارسلي ستر دياجي شعرك المسبلِ

وانجلي كالبدر في ثوب الدجى الاليلِ

• • •

يا غنا من لا له عنك بشيء غنا

يا هنا من نال من وصلك طيب الهنا

يا عنا من لم يشاهد منك حسن العنا

فامهلي في قتلة العشاق لاتعجلي

اوصلي فالهجر بالمحبوب لم يحمل

• • •

قلبهُ قد زاد من فرط الجوى كربه

ليلهُ يزداد أضعافا به حربه

حبــه منها وان طال المدى حبه

فاعدلي في دولة الحسن فقد تعزلي

وافضلي على الشجى المغرم المبتلي

• • •

ياعذولَ جهلتَ في لومك ماذا تقولَ

ياجهول العقل في بعض التصابي يزول
لاتحول عشقي وذاك العذل منك يطول
فاجملي في قتلة المغرم كي تنطلي
واقللي من رشق سهم غاب في مقتلي

• • •

لو ترى دمعي على خدي لما جرى
احمرا لكنت من ذلّ الهوى معذرا
والكرى امسى عن الاجفان مستنفرا
كيف لي لوبت من وجدي بقلب خلي
من بلى يصبر على حكم القضا المنزل(*)

والف الصلاح الصفدي المتوفى سنة ٧٦٤هـ كتابا اسمه « توشيع التوشيح » ضمنه معارضاته لكبار الوشاحين المغاربة والمشارقة ، وعارض فيه موشحة ابن ماء السماء بموشحتين قال في الاولى «رأيت ذكره الذي قد طار طائره وصبحه الذي ضوّأ الافاق سافره ، وبديعه الذي غلت على من يسومها جواهره فأردتُ ان انظم في هذا الوزن شيئا واعتمدت فيه لزوما لم يلتزمه عبادة المذكور في موشحه ، على انه هو تكرر معه بعض القوافي فقلت »(٣٢) .

تبتلي حشاشتي وجدا فلا تنسَ لي
ما بلي قلبي به من طرفك البابلي

• • •

كم إلى هذا التجني والجفا والقِلا
والبلا فأن دمعي قد جرى جدولا

منه لا　　من غيره ، صيّرت لي منهلا
فافصل　　هذا الجفا عنى بوصلٍ جلي
ينجلِ　　صدا فؤادٍ بالجوى ممتلي

وقال الصفدي في الموشحة الثانية « وقلت ايضا في هـذا الوزن وغيرت القافية الاولى » .

قدري　　ان رقيبي باللقاء قد دري
اوعري　　هل ينتهي عن خُلقه الاوعرِ

. . .

قد حشد　　فيك سقامي واذاب الجسد
والحسد　　من عاذلي امتد الى غير حد
واقتصد　　بأنه يشمت بي وقت صد
فاخبري　　حال المعنى في الضنى واخبَري
وابصري　　ان كان قد حان فلا تبصري[٣٣]

وعارض الشيخ عزالدين الموصلي[٣٤] موشحة عبادة بن ماءالسماء واخذ مطلعها خرجة لموشحته كما فعل ابن سناء الملك من قبل وقال :

غن لي　　قد طاب لي شربي على الجدول
وامل لي　　مدامة تشغل سري الخلي

. . .

في الطلا　　شفاء كرب المدنف المبتلي
قد حلا　　تهتكي في الشرب بين الملا
كيف لا　　يعذر من هام بكاس الملا

يجتلى كالكاعب الحسناء تحت الحلى
تصطلي[٣٥] من ضوئها في الكاس اذ تمتلي

• • •

ما السرور الا سماعي لغنا والزمور
والخمور ورشف كاسات اللمى والثغور
والغرور من يبس عن نيل الاماني صبور
فابذلي ما عز في الراح ولا تبخلي
تفضلي على الورى ماض ومستقبلي

• • •

لم يضع العمر في الدنيا بغير القطيع
فالرفيع اذا دعي الكاس لبّا سريع
والرقيع من بات في مثل زمان الربيع
مختلي بالصحو من نيل الاماني خلي
مبتلي عن لذة الاشياء في معزل

• • •

في الشمول معنا به تسبي جميع العقول
والجهول من يصغ فيها لمقال العذول
دع يقول ما شاء فيها لست عنها احول
تنجلي عني همومي اذ ارى منزلي
مستلي من قهوة عذراء لم تبذل

• • •

قد سما　　من بعد ذا قلبي لحب الدُما
وانتمى　　لحب بدرٍ فيه وجدى نما
كلما　　فوّق نحوى طرفه اسهما
لذّ لي　　موتي ويا بشراي ان صحّ لي
فاعذلي　　واللوم فيه كثّري ، قلّلي

• • •

ما رنا　　الا اعار الجسم ثوب الضنا
واجتنى　　من غصنه قلبي الأسا والعنا
واثنى　　لسان حالي قائلاً معلنا
من ولي　　في امة امرا ولم يعدل
يعزل　　بنبل الحاظ الرشأ الأكحل(٣٦)

وآخر من عارض موشحة ابن سناء الملك من الوشاحين هو الشيخ محمد الملا الحلي المتوفى سنة ١٣٢٠هـ بقوله :

أنهلي　　صبك من عذب اللّمى السلسلِ
واشغلي　　مسمعهُ في لفظكِ المشغل

• • •

وهذا آخر بيت (دور) فيه الخرجة :

قل لمن　　هام بغزلان المُصلى وجن
وامتحن　　له بها الشوق غداة امتحن
لم يُشن　　من لم يشب صفو الهوى في دُرن
غن لي　　في كل هيفاء تزين الحُلي
فالحلي　　عند اولى الألباب لم يقبل(٣٧)

وذكر استاذنا الدكتور محمد مهدي البصير المتوفى سنة ١٩٧٤م انه عارض هذه الموشحة في فجر صباه الا انها ضاعت ولم يبق الا المطلع يقول :

اطلعي شمس المحيا من سما البرقع
واصدعي شمل الدجى فيها وشملي اجمعي[٣٨]

وكان ابن سناء الملك لا يتساهل مع الذين ينظمون الموشحات ولا يتبعون القواعد السليمة في النظم، فقد عاب على الوشاح ابن غزلة المغربي[٣٩] « وهو من اكابر اشياخهم أنه ينظم الموشح والزجل والمزّنم »[٤٠] فيلحن في الموشح ويعرب في الزجل تقصدا منه واستهتارا ، ويقول ان القصد من الجميع عذوبة اللفظ وسهولة السبك ، وكان الوزير ابن سناء الملك يعيب عليه ذلك ، ولهذا لم يثبت شيئا من موشحاته في « دار الطراز »[٤١] .

فمن موشحاته المزنمة الموشحة الموسومة « بالعروس » التي نظمها في رميلة اخت عبدالمؤمن الاموي[٤٢] ملك الاندلس وقتله الملك بسببها لتوهمه من مطلعها وما يليه اجتماعه بها . قال ابن غزلة :

من يصيد صيدا فليكن كما صيدي صيدي الغزالة من مراتع الاسد

. . .

كيفَ لا أصول واقتنصت وحشيه
ظبيـة تجول في ردا وسوسيه
صاغهـا الجليل فهي شبه خُوَريه
تنثني رويدا اذ تميس في البرد تعجن الغله والردا مع النهدِ

. . .

وقيل انه لما أخرجه الملك للقتل نظر الى الناس وارتجل بيتا في الوزن والقافية يستنجد به عشيرته لأخذ ثاره فقال :

خدها الاسيل　　بدت منه انوار
طرفها الكحيل　　سُل منه بتار
ها انا القتيل　　فهل يؤخذ بالثار

قد أسرت عبدا　　ولم أك بالعبد　　متُ لا محالهَ　　فاطلبوا دمي بعدي[٤٣]

شرط الخرجة عند ابن سناء الملك :

الخرجة هي القفل الاخير من الموشح او الزجل • والفرق بين الشاعر والوشاح ، ان الشاعر يبدأ القصيدة بمطلعها اولا ثم يتسلسل فيها حتى آخرها ومن خلال القصيدة نلمح « بيت القصيد » الذي يعد احسن بيت في القصيدة من حيث المضمون الذي يذهب الشاعر اليه ، على حين أنا نرى الوشاح او الزجال اول ما يبدأ بالخرجة ثم يبني عليها موشحته اي يمسك الذنب وينصب عليه الرأس • يقول ابن سناء الملك و « الخرجة هي ابزار[٤٣] الموشح وملحه وسكره ومسكه وعنبره ، وهي الخاتمة ، وينبغي ان تكون حميده والخاتمة بل السابقة وان كانت الاخيرة ، وقولي السابقة لانها التي ينبغي ان يسبق الخاطر اليها ويعملها من ينظم الموشح في الاول ، وقبل ان يتقيد بوزن او قافيـــة »[٤٤] واشترط ابن سناء الملك في الخرجة ان « تكون حجاجية[٤٥] من قبل السخف قزمانية[٤٦] من قبل اللحن حارة محرقة ، حادة منضجة من الفاظ العامة ولغات الداصة[٤٧] »[٤٨] •

والغرض من كل ما تقدم هو ان يختم الموشح بهذه الالفاظ كي ينتهي مجلس الشراب والغناء والسهرة الى الغاية المرجوة وهي ان يفرح الجميع برفع الاصوات العالية الغريبة فيغمرهم الفرح والحبور وتأخذهم نشوة الخمر نتيجة لتلك الخرجة التي تحتوي على الالفاظ التي اشترطها ابن سناء الملك .

ويمكن للوشاح ان يأتي بخرجة معربة منسوجة على ما تقدمها من اغصان واسماط ولكن الشرط ان تكون « الفاظها غزلة جدا هزازة سحارة خلابة بينها وبين الصبابة قرابة ، وهذا معجز معوز ، ولا يوجد منه في الموشحات سوى موشحتين او ثلاثة كقول ابن بقي في احدى خرجاته :

ليل طويل ، وما معين ، ياقلب بعض الناس ، اما تلين

فمن قدر ان يقول هكذا فليعرب والا فليغرب »[٤٩] .

كما اشترط ابن سناء الملك في الخرجة ان « يجعل الخروج اليها وثبا واستطرادا وقولا مستعارا على بعض ألسنة الناطق أو الصامت او على الصبيان والنسوان ، والسكرى والسكران ، ولابد في البيت الذي قبل الخرجة من قال ، او قلتُ او قالتْ ، او غنى او غنتْ ، فما جُعل على لسان الحمام قول عبادة :

كل الأنام بذاك يعتدُ
ففي الكرام كلاهما فردُ[٥٠]
ان الحمام في ايكها تشدو

قل هل عُلِم او هل عهد او كان كالمعتصم ، والمعتضد ، ملكان

ومما جعل على لسان الغرام قول عزالدين الموصلي :

قمر شد الضلال جبينها بالنور

وردفها مثقال وقلبها مسرور

ووصلها أقبال وخدها كافور

وشعرها ريحان وثغرها جوهر

من خالص العقيان وخالها عنبر[٥١]

ومما استعير على لسان الهجاء قول عبادة :

فالهيجا تغني والسيف قد طرب

ما أملح العساكر وترتيب الصفوف ، والابطال تصيح ، الواثق يامليح[٥٢]

• • •

ويجوز للوشاح ان يأخذ بيتا من الشعر ويجعله خرجة لموشحته يقول ابن سناء الملك « وفي شجعان الوشاحين والطعانين في صدور الاوزان من يأخذ بيت شعر مشهور فيجعله خرجة ويبني موشحته عليه كما فعل ابن بقي في بيت ابن المعتز وهو :

لست اشكو غير هجر مواصل

مذ منعتُ القلب عن عذل عاذل

وتغنيت لهم قول قايل

علموني كيف اسلو والا فاحجبوا عن مقلتي الملاحا[٥٣]

وكان الوشاحون الاندلسيون يصنعون خرجة موشحاتهم أحيانا من اللغة العربية والاسبانية معا والشرط ان تكون « عجمية اللفظ وان يكون لفظها ايضا من العجمى سفساطا نقطيا ورماديا زيطيا[٥٤] »[٥٥] اي ان الفاظها تكون ملتهبة كالنار حينما تسري في النفط ، وخفيفة كالطائر

السريع الذي يشبه العصفور والمسمى بالزيطه ، كقول ابن بقي في خرجه باللغة الاسبانية :

الب ديه اشت ديه دى ذا العنصرة حقا
يشترى مو المديح ونشق الرمح شقا[٥٦]

ومعناها : « هذا اليوم يوم فجرى انه يوم عيد العنصرة سوف البس ثوبي المزين واشق الرمح شقا » .

وكان ابن سناء الملك اول من استخدم اللغتين الفارسية والتركية خرجة لموشحاته لانه كان يتقنهما فقال في خرجة فارسية :

خداى داند كه من ترا دوست دارم
وتوخوا هى كه بيش تومن نيا يم

وترجمتها للعربية :

يعلم الله انني احبك
وانت تريدين الا احضر عندك[٥٧]

والخرجة في اللغة التركية زاخرة بالالفاظ العربية . يقول :

اذا وصلت للرى[٥٨] سلم على حبيبي وانظرهما بعيني
تنظرهما شما وآى والبدر بالتركي آى[٥٩]

تحقيق الموشحات

عثرت بطريق المصادفة على كتاب الدر المكنون في سبعة فنون في دار الكتب المصرية ، وما زال الكتاب مخطوطا ، وبعد جهد كبير حصلت على نسخة مصورة له[٦٠] ، والكتاب يعود لابن إياس الحنفي المتوفى سنة ٩٣٠هـ ، وقد فرغ من تأليفه سنة ٩١٢هـ اما هذه المخطوطة فقد فرغ من نسخها سنة ١١٢١هـ[٦١] والكتاب يحتوي على (١٩٨ ورقة)

وقد استلت احدى اوراقه ، ويبدو ان سبب ذلك يعود الى كون هـذه الورقة محشوة بالسخف الشديد والكلام البذيء ، والمخطوطة خطها واضح الا في بعضها وقد سقط عليها الماء فأضاع بعض معالمها ، ولا تقرأ تلك الصفحات الا بصعوبة بالغة .

والكتاب مبوب الى سبعة فنون شعرية ، كل باب فيه شواهـد مختارة لشعراء اختلفت عصورهم التاريخية وبدأ المصنف بالفنـون الشعرية المعربة ـ الفصيحة ـ وهي الشعر القريض ، والدوبيت والموشح ولحق بها المخمسات والمسمطات ثم اعقبها بالفنون الشعرية غير المعربة (العامية) وهي المواليا ، والزجل والكان وكان والقوما وختم الكتاب بما رق وراق من فن الحماق[٦٢] .

وحين عزمت على تحقيق هذا الكتاب ووصلت الى باب الموشحات وجدت موشحتين اثنتين لابن سناء الملك لم تنشرا بعد ولم ترد اليهما اشارات في الدراسات التي تناولته ، ويبدو ان الباحثين في هذا الميدان لم يهتدوا الى هذه المخطوطة ، وما ورد فيها من نصوص لم تنشر لابن سناء الملك ولغيره من الشعراء والوشاحين والزجالين والموالة ، وكانت احدى هاتين الموشحتين ناقصة بيتين « دورين » ، والثانية كاملة وخرجتها في اللغة الفارسية ، اما الموشحة الثالثة فقد نشرت في دار الطراز (صفحة ١٢٣) وكانت خرجتها في اللغة التركية .

نتائج البحث :

كانت النتائج الجديدة التي توصل اليها البحث هي :

١ ـ نشر موشحتين لابن سناء الملك لم ترد اليها اشارات الباحثين في

هذا الميدان ، او ممن عنوا بدراسته .

٢ ــ بيان اهمية الخرجة في الموشحات وكيف ينبغي ان تكون مسك الختام بما يخص الغناء ونهاية السهرة .

٣ ــ الفرق بين الشاعر والوشاح في نظم القصيدة العمودية والموشحة وكيف يبدأ الشاعر بمطلع القصيدة اولا والوشاح يبدأ في البحث عن الخرجة ، ويجب ان يُسبق خاطره اليها قبل الوزن والقافية . ثم يبني عليها موشحته .

٤ ــ اشرنا الى اول نصٍ من فن التوشيح وصل الى المشرق ، واول من نسج على منواله ابن سناء الملك ثم اعقبه سلسلة من الوشاحين في معارضة ذلك النص ثم ذكرنا موشحاتهم كلها اذا لم تنشر او بعضها اذا سبق نشرها .

٥ ــ رددنا على القائلين بان ابن سناء الملك تعلم فن التوشيح عن شيوخ وفدوا الى المشرق من الاندلس .

٦ ــ كان ابن سناء الملك اول من استخدم اللغة الفارسية والتركية في خرجة الموشحات . بعد ان كان الوشاحون الاندلسيون يستخدمون اللغة الاسبانية في خرجاتهم .

٧ ــ تحدثنا عن كتاب الدر المكنون الذي اخذنا منه موشحات أبن سناء الملك والذي نحن بصدد تحقيقه ونشره في المستقبل .

الموشحات المطويات :

مذهبي حب رشا ذي جسد مذهبي[٦٣]
قد حبي حسنا به يستعذب القدحُ بى

. . .

عاذلا ما انت فيما قلته عادلا
سائلا يخبرك دمعي قدهما سائلا
آه لا تعدل فما قلبي لذا آهلا
منصبي والعقل اذهبتهما من صبي
ماربي الا وقد اربى به ما ربي

• • •

مانسي زمان طيب الوصل في مانس
والمسي رقيبه بالكف لم المس
جانسى حربى فالفى كما جانس
فارقبي ياطرفَ سُهاد النجوم ارقبي
واشن بي من لم يهمْ في ثغر اشنب

• • •

رق ما في خده الوردي قد رقما
عندما رأيت دمعي للجفا عندما
ضرّما في مهجتي من هجره ضرّما
فانه بي غيري ولذات الغرام انهبِ
واله بي عن عُذّل بل لحشاى الهبِ

وقالَ :

لي قلب لايذ بحب ريّان ناعم
فتانَ زاهي يحل عقد العزايم

• • •

اياك اعنى ولست اعنى سواكا
ياكل حُسنِ لقد بلغت مداكا
نأيت عنى متى تراني اراكا
كم ذا التجني أني قتيل هواكا
سهمك نافذ ولحظ جفنك صارم
وانت لاه وقد عملت العظايم

• • •

لا منك وصل وليس لي منك بدُ
وكيف اسلو وفي ثناياك عقدُ
يضيء يجلوُ درُ وان شئت شهدُ
ولست اخلو من ان ارى حين تبدو
بالله عايذ عسى ارى منك راحم
يا عظم جاه لو ان لي منك عاصم

• • •

ما انا عاشق لو كنته ماحذرتك
هذي دقائق لو لم اقلها كفرتك
دعذا ووافق واحسب باني سحرتك
فالصبر لائق الا اذا ما نظرتك
ان كنت آخذ لروح من هو هائم
روحي ها هي خذها فلست بنادم

• • •

هل انت راضي بما بذلت لديكا
او انت قاضي بما حكمت عليكا
وهل تغاضي عن ما غدا في يديكا
هذى مواضي قد تبت منها اليكا
قاطع ونابذ وكن كما شئت ظالم
ما عنك ناهي ولا ارى فيك لائم

• • •

اليكَ اتى في بكرة وعشيه
ولا تواتي ولا تبث القصية
فيا حياتي يامرحبا بالمنية
فاسمع هنا تشدوك بالفارسية
خداى داند كه من ترادوست دازم[٦٤]
وتوخواهي كى پيش تو من نيايم

وقال موشح آخر :

اوقد لنا النار التي تطفيّ لهيب الحزنِ
نارا كمثل الجنــة في طيبها والحسنِ
واعقد لبنت الكرمة عقدا على ابن المُزَن
واطلق سراح الخمرة من سجنها في الدن
شعاعها بكفي ، يخرجني من إلفي ، وقد شربتها كي
توقعني في سكرة ، تجــذبني بعطفي

• • •

شربتها حتى ارى لي راحة في الراح

وطال في ليلي السُّرى فجئيت بالمصباح
وليس يُغني ذا الورى الا هوى الملاح
وما حديثي مفترى فاصغِ له ياصاحي
قصّ الهوى جناحي فرحتُ بين بُرْدَى لا ميتا ولا حيْ
يُسهر عيني الذي فديتـــه بعيني

• • •

يامن رأى لي امردا كالبان حُسْن قدّه
وآخرا كما بَـدا عذاره في خده
هذا وهذا قد غدا والحسن عبدُ عبده
إلفان لي قد جرّدا سيف الهوى من غمده
فمن رأى كالفي طلعة ذا بدر الحي وقلب ذا صخر الغي
وكل شيىء بعد ذا وبعد ذا فلا شيْ

• • •

قلبي وهو الشاهد اني بغير قلبين
فكيف وهو واحد يهوى وصال اثنين
ما هو الا مارد وقايد الى حين
الجمر فيه واقد يوم اللقا والبين
النار بين جَنْبي ياويح قلبي يا ويْ ويستحق ذا الكي
لم يلق ذا لو كان يهوى ام عمرو أو مَي

• • •

وبعد هذا أفلا وغربا في الشَّرق

وفارقاني افـلا ايكيهما بحق
لاسيما وقد خلا من نيرىَّ افقي
فقل لمن قد رَحَلا اليهما عن عشقِ
اذا وصلت للري سلم على حَبيبيْ وانظرهما بعيني
تنظرهما شمسا وآى والبدر بالتركي آى(٦٥)

الهوامش

١ ـ وفيات الاعيان ٦/٦١ ٠
٢ ـ انظر توشيع التوشيح ص٤٧ ٠
٣ ـ وفيات الاعيان ٦/٦١ ٠
٤ ـ القاضي الفاضل : ولد ابو علي عبدالرحيم البيساني بمدينة عسقلان بفلسطين سنة ٥٢٩هـ واخذ العلم عن ابيه قاضي عسقلان ، ثل قدم مصر في اواخر الدولة الفاطمية ليتعلم في ديوان الانشاء ٠ وظهرت براعته في الكتابة ، ولما قامت الدولة الايوبية صار وزيرا لصلاح الدين ثم لابنه العزيز ثم لاخيه الملك الافضل وتوفي بالقاهرة سنة ٥٩٦هـ ٠
٥ ـ معجم الادباء جـ٢ ص٢٨ ٠
٦ ـ السيوطي : حسن المحاضرة ١/٢٢٣ ٠
٧ ـ حسن المحاضرة ١/٢٠٠ ٠
٨ ـ الاهواني ـ ابن سناء الملك ومشكلة العقم والابتكار ص٢١١ـ٢١٣ ٠
٩ ـ فن التوشيح ص١٥٠ ، وانظر الموشحات العراقية ص٦٨ ٠
١٠ـ ابن سناء الملك حياته وشعره ص٤٩ ٠
١١ـ المعتمد : من اشهر ملوك الطوائف في الاندلس دام ملكه ثلاثاوعشرين سنة (٤٦٢ـ٤٨٤) الى ان غلب على سلطانه ابن تاشفين ومات معتقلا٠
١٢ـ ابن صمادح : اشهر ملوك المرية التي حكمت هذه المدينة في سنة ٤٤٣ـ٤٨٤ ثم زال حكمه بهجوم المرابطين ٠ توفي المعتصم بن صمادح سنة ٤٨٤ ٠
١٤ـ الاعمى : هو ابو جعفر بن هريرة ابو بكر التطليلي المعروف بالاعمى الشاعر ٠ وشاح مشهور في اوائل القرن السادس الهجري ٠

١٤ـ ابن بقي شاعر اندلسي مشهور بموشحاته توفى سنة ٥٤٠هـ ٠
١٥ـ عبادة : هو ابو بكر عبادة بن عبدالله بن ماء السماء وهو شاعر مشهور بالموشحات توفى سنة ٤٢٢هـ ٠
١٦ـ الحصري : هو ابو الحسن علي بن عبدالغني الفهري المقري الضرير الحصري الشاعر المشهور ، ومدح بني عباد الذين حكموا باشبيلية ولا سيما المعتمد ٠ توفى في طنجة سنة ٤٨٨هـ ٠
١٧ـ دار الطراز ص٣٩ ٠
١٨ـ المصدر نفسه ص٢٤ ٠
١٩ـ المصدر نفسه ص٢٩ ٠
٢٠ـ توشيع التوشيح ص٣٢ ٠
٢١ـ فوات الوفيات ٤٢٥/١ ٠
٢٢ـ المصدر نفسه ٤٢٦/١ ٠
٢٣ـ المستطرف في كل فن مستظرف ١٩٠/٢ ٠
٢٤ـ كان موجودا بعد سنة ٦٥٧هـ انظر المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي ٢٥٥/١ ٠
٢٥ـ المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي ٢٥٥/١ ٠
٢٦ـ المصدر نفسه ٠
٢٧ـ المصدر نفسه ٠
٢٨ـ المصدر نفسه ٠
٢٩ـ هو شهاب الدين احمد بن عبدالملك العزازي ، كان بزازا وكان ينظم الشعر للمطارحة والمفاكهة ، وقد اجاد نظم الموشحات ٠ توفى سنه ٧١٠هـ وينسب الى عزاز بلدة قرب حلب ٠
٣٠ـ توشيع التوشيح ص٨٠ ٠
٣١ـ المصدر نفسه ص٨٣ ٠
★ الدر المكنون في سبع فنون « وقد سقط من هذه الموشحة بيت واحد (دور) » ٠
٣٣ـ المصدر نفسه ص١٦٨ ٠
٣٣ـ توشيع التوشيح ص١٦٨ ٠
٣٤ـ هو علي بن الحسين بن علي بن ابي بكر محمد بن ابى الخير عزالدين الموصلى الشاعر المشهور نزيل دمشق واقام في حلب وله موشحات توفي سنة ٧٨٩هـ ٠
٣٥ـ بالاصل تسطلح ٠
٣٦ـ الدر المكنون في سبعة فنون٠ ٠

٣٧ـ مجلة كلية الآداب العدد الرابع عشر لسنة ١٩٧١ ص٣٠٦ مقـــال الدكتور رضا محسن القريشي ٠
٣٨ـ الموشح في الاندلس وفي المشرق ص٣٣ ٠
٣٩ـ ابن غزله : شاعر مغربي عاش في عصر الموحدين وقتل بسبب تغزله برميله أخت عبدالمؤمن ٠
٤٠ـ المزنم : الاعراب في الملحون واللحن في المعرب ، ومعناها لاحق القوم وليس منهم وقوله تعالى « عتل بعد ذلك زنيم » اي لئيم ٠
٤١ـ العاطل الحالي والمرخص الغالي ص١٥ ٠
٤٢ـ عبدالمؤمن : مؤسس دولة الموحدين ولد في قرية تاجرة من اعمـال تلمسان سنة ٥٠٠ ولقب بالمهدي توفى سنة ٥٥٨هـ ٠
٤٣ـ بلوغ الامل في فن الزجل تحقيق الدكتور رضا محسن القريشي ص٥٧ وابزار جمعها ابازير وهى الافاوية او التوابل ، وهى بمثابة المقيلت للطعام ٠
٤٥ـ نسبة الى ابن الحجاج : وهو ابو عبدالله الحسيني بن احمد الشاعر الماجن المتوفى سنة ٣٩١هـ ٠
٤٦ـ ابن قزمان : امام الزجالين في الاندلس وقد حرم الاعراب في الزجل توفى سنة ٥٥٤هـ ٠
٤٧ـ الداصة ٠ لغة النصوص ٠
٤٨ـ دار الطراز ص٣١ ٠
٤٩ـ المصدر نفسه ٠
٥٠ـ دار الطراز ص٦٩ ٠
٥١ـ الدر المكنون في سبعة فنون ٠
٥٢ـ دار الطراز ص٣١ ٠
٥٣ـ دار الطراز ص٧٥ ٠
٥٤ـ الزيطة : طير صغير يشبه العصفور يطير بين الشوك وسريع الحركة ويقال عنه بالعامية « لايطير بعيد ولا ينكمش بالايد » ٠
٥٥ـ دار الطراز ص٣١ ٠
٥٦ـ جبش التوشيح المقدمة ص غ ٠
٥٧ـ ترجمة الدكتور فتحي الريس استاذ اللغة الفارسية في كلية الاداب/ جامعة بغداد ٠
٥٨ـ الري : من امهات مدن بلاد فارس وتشتهر في جودة الفواكه وتقع على طريق السابلة وتبعد ١٦٠ فرسخا عن نيسابور ٠
٥٩ـ آى بالتركية : القمر او الشهر ٠

تحقيق الموشحات :

٦٠ـ قدمت نسخة مصورة من كتاب الدر المكنون في سبعة فنون الى مكتبة الدراسات العليا في كلية الاداب ـ جامعة بغداد ·

١٦ـ حاجي خليفة / كشف الظنون ١/٧٣٢ ·

٦٢ـ حققت الفنون الشعرية غير المعربة وجعلتها ملحقا لرسالة الدكتوراه التي تقدمت بها الى قسم اللغة العربية فى جامعة عين بسمس/القاهرة ونوقشت فى ٧ـ٣ـ١٩٧٤ · وانا الان فى سبيل اتمام تحقيق الفنون الشعرية المعربة لنشرها جميعا ·

٦٣ـ بالاصل : مذهبي وانهبي والهبي ·

٦٤ـ صحتها كما موجود في هامش المخطوطة

خداى داند كه من ترا دوست دارم

وتوخواهى كه پيش تو من نيايم

والترجمة في العربية :

بعلم الله انني احبك

وانت تريدين الا احضر عندك

٦٥ـ انظر دار الطراز في عمل الموشحات ص١٢٣ ، شمسا وقمر والبدر بالتركية اى يعني قمر ·

ثبت المصادر الواردة في هوامش البحث

ـــ ابن سناء الملك ، حياته وشعره لمحمد ابرهيم نصر · دار الكاتب العربي ، القاهرة ١٣٨٧هـ ـ ١٩٦٧م ·

ـــ ابن سناء الملك ومشكلة العقم والابتكار · لعبدالعزيز الاهواني طبع الانجلو بالقاهرة ١٩٦٢م ·

ـــ بلوغ الامل في فن الزجل لابن حجة الحموي · تحقيق الدكتور رضا محسن القريشي · طبع دمشق ١٩٧٤م ·

ـــ توشيع التوشيح : لصلاح الصفدي تحقيق البير حبيب مطلق · دار الثقافة ١٩٦٦م ·

ـــ جبش التوشيح ـ للسان الدين بن الخطيب · تحقيق هلال ناجي طبع المنار تونس ١٩٦٧م ·

ـــ حسن المحاضرة في اخبار مصر والقاهرة لعبدالرحمن بن ابي بكر السيوطي · طبع مصر ١٣٢٧هـ ·

ـــ دار الطراز في عمل الموشحات ـ جودة الركابي · طبع دمشق ١٣٦٨هـ ١٩٤٩م ·

ـــ الدر المكنون ـ لابن اياس الحنفي المتوفى سنة ٩٣٠هـ الكتاب مخطوطا ·

ـــ العاطل الحالي والمرخص الغالي ـ لصفي الدين الحلى عنى بتصحيحه ولهلم هونرباخ المانيا ١٩٥٥م ·

ـــ فن التوشيح · مصطفى عوض الكريم · بيروت ١٩٥٩ ·

ـــ فوات الوفيات ـ لابن شاكر الكتبي · تحقيق محيى‌الدين عبدالحميد ١٩٥١م ·

ـــ في الادب الاندلسي ـ جودة الركابي · مطبعة الجامعة السوريه ١٣٧٤هـ ·

ـــ كشف الظنون لحاجي خليفة ·

ـــ المستطرف في كل فن مستظرف · الابشيهي ط العامرة مصر، ١٣٣٠هـ

ـــ مجلة كلية الآداب ـ مقال لرضا محسن القريشي · سنة ١٩٧١ ·

ـــ معجم الادباء لياقوت الحموي · نشر فريد رفاعي ١٩٣٨ ·

ـــ معجم البلدان لياقوت الحموي ·

ـــ المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي لابن تغرى بردى الاتابكي القاهرة ١٣٧٥هـ ـ ١٩٥٦م ·

ـــ الموشحات العراقية ـ لرضا محسن القريشي · رسالة ماجستير طبعة بالرونيو ١٩٦٩ ·

ـــ الموشح في الاندلس وفي المشرق · لمحمد مهدي البصير ١٣٨٦هـ ·

ـــ وفيات الاعيان في انباء ابناء الزمان لابن خلكان · القاهرة ١٩٤٨هـ ·